الفصل الثاني

هدي النبي ﷺ مع القرءان

ـ كان ﷺ أكثر الناس تدبراً لأنّه كان أكثرهم علماً بمعانيه وأسباب نزوله؛ فعليه أُنزل، فكانت قراءته تدل على هذا التدبر والتفهم، فقد ورد في صفة قراءته ﷺ؛ كما رُوي في السنن وصححه الألباني أنّ رسول الله ﷺ كانت قراءته مفسرةً حرفاً حرفاً.

ـ وبيّن ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص، فقال «**اقرأ القرءان في أربعين**» فراجعه فقال: «**في شهر**» فراجعه فقال: «**في عشرين**» ثمّ في «**خمس عشرة**» ثمّ في «**عشر**» ثمّ في «**سبع**»، قال: «انتهى إلى سبعٍ» (الصحيحة: ١٥١٢). وهذا يدل على أنّ هذا المقدار هو أقل ما يثبّت القرءان عند حافظه، كما يدل على أنّ هذا القدر هو أقلُّ زادٍ يصلح معه القلب. وذلك إذا تدبر المرء ما يقرأه.

ـ وبيّن أنّه لا يُشرع قراءة القرءان كاملاً في أقل من ثلاث، فقال: «**لا يفقه القرءان من يقرؤه في أقلّ من**

ثلاث» (الصحيحة: ١٥١٣). وفي السلسلة الصحيحة عن عائشة رضي الله عنها: «**كان ﷺ لا يقرأ القرءان في أقل من ثلاث**» (٢٤٦٦) ويدل بعمومه على أنه لا تُشرع الزيادة لا في رمضان ولا في غيره. والمقصود بيان أنّ غرض القرءان الأعظم تدبره، ولا يتأتى التدبر مع قراءته في أكثر من ثلاث.

ـ وكان ﷺ «**لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل (الإسراء)**» (الصحيحة: ٦٤١). «**وكان لا ينام حتى يقرأ «آلم. تنزيل» (السجدة) و(تبارك الذي بيده الملك)**» (الصحيحة: ٥٨٥)، «**وكان لا ينام حتى يقرأ المسبحات ويقول فيهنّ آية خيرٌ من ألف آية**» (كان الألباني يصححه ثمّ مال قبيل وفاته إلى تضعيفه كما في كتاب: تراجع الإمام الألباني)، وفي ذلك تنبيهٌ على أهمية استحضار معاني هذه السور والتفهم والتدبر لها كل ليلة قبل النوم. فالأجدر بالمؤمنين أن يشتغلوا بدراسة تفسير هذه السور والاطلاع على معانيها مع الاهتمام بقراءتها في كل ليلة.

والظاهر أنه كان ﷺ ينوِّع، فأحياناً يقرأ ببعضها وأحياناً بالبعض الآخر، لكن كان يقرن بين هذه النظائر، فيقرأ السجدة مع الملك والزمر مع الإسراء والمسبحات ـ إن صح الحديث ـ مع بعضها، وفي ذلك تنبيهٌ على ارتباط معاني هذه النظائر بعضها ببعض، فعلى المؤمن أن يحاول كذلك الاطلاع في التفسير والبحث عن هذا الارتباط.

ومثله ما كان يفعله النبي ﷺ من قراءة نظائر من السور؛ فعن ابن مسعود: «**إني لأعرف النظائر التي كان يقرؤها رسول الله ﷺ يقرن بينهن السورتين في الركعة (الرحمن والنجم) في ركعة و(اقتربت والحاقة) في ركعة و(الطور والذاريات) في ركعة و(إذا وقعت ون) في ركعة**» (صححه الألباني)، وهذا يدل على أنّ لهذه السور فضائل كما أنّ لكل نظيرٍ منها ارتباطاً خاصاً، ولذا كان يقرن بين الواقعة والقلم دون الذاريات مثلاً وكذا بين الرحمن والنجم دون الحاقة مثلاً. فعلى المؤمن أن يدرس تفسير هذه السور أولاً مع تأمل المعاني الإيمانية فيها ثمّ

عليه كذلك البحث عن أوجه ارتباط هذه النظائر، ولولا الإطالة لذكرتُ طرفاً من ذلك.

كما يدل على أهمية المدارسة اليومية ـ وفي الليل ـ لمعاني هذه السور.

ـ وقد حث على قراءة الكهف في كل جمعة فقال: «**من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين**» (رواه الحاكم وحسنه الألباني) وفي ذلك تنبيهٌ على أهمية استحضار معانيها الإيمانية وفوائدها في كل جمعة، وفي يوم الجمعة بالذات، فلا ينبغي للمرء أن يشتغل بقراءتها المجردة دون استحضار ومراجعة ومدارسة هذه المعاني. كما يدل على أهمية هذه السورة حتى أنّ معانيها لتحتاج إلى مراجعة أسبوعية!!

ـ وكان يقرأ في فجر كل جمعة سورتي السجدة والإنسان، فعن ابن عباس: «**كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: تنزيل السجدة وهل أتى على الإنسان**» (رواه النسائي وصححه الألباني). وفي

ذلك أيضاً تنبيهٌ على أهمية دراسة ومراجعة معاني هاتين السورتين في كل جمعة في يوم الجمعة بالذات. وفيه تنبيهٌ كذلك على أهمية هاتين السورتين حتى حرص النبي ﷺ على تكرار تذكير المؤمنين بهما كل جمعة.

ـ **وكان ﷺ يقرأ «ق» في كل جمعة على المنبر في خطبة الجمعة** (رواه مسلم)، وذلك تنبيهٌ أيضاً على أهميتها وأهمية مدارستها وتدبر معانيها في كل جمعة.

ـ **وكذا ما كان يقرؤه ﷺ في صلاة الجمعة كـ(الأعلى والغاشية)** (رواه أبو داود وصححه الألباني)، **وأحياناً بـ(الجمعة والمنافقون)** (رواه أبو داود وصححه الألباني)، فإنّ في فعله ﷺ تنبيهاً على أهمية مدارسة هذه السور يوم الجمعة، كما أنّ فيه دليلاً على أهمية هذه السور التي يحرص على تلاوتها على مسامع أصحابه في كل جمعة.

ـ والظاهر ـ والله أعلم ـ أنّ معاني السور المقروءة يوم الجمعة تدور حول ما كان يوم الجمعة من خلق آدم وقصة بدء الخلق وما يكون فيه من قيام الساعة والقيامة

وما يكون فيها من أهوال ويرتبط بذلك ذكر عداوة إبليس لآدم وذكر أولياء إبليس وعصاة الرسل وذكر الجنة والنار وذكر الموت وسكراته ومقدماته.

ـ **وكذا ما كان يقرؤه ﷺ في صلاة العيد كـ (الأعلى والغاشية)** (رواه أحمد وصححه الألباني)، **وأحياناً بـ (ق واقتربت)** (رواه النسائي وصححه الألباني)، فياليت العلماء والدعاة والأئمة يهتمون بإسماع الناس هذه السور وبتفسيرها لهم وبيان المعاني الإيمانية فيها، فما كان ﷺ ليهتم بهذه السور لولا عظيم أهمية العلم والعمل بها في إصلاح البلاد والعباد.

ـ وأمّا السور التي كان يقرؤها كل ليلة، ففيها تنبيهٌ على أهمية استحضار معاني هذه السور كل ليلة وخصّ وقت الليل لانقطاع الشواغل فيه وسهولة التدبر فيه. وفي ذلك تنبيهٌ على أنّ معاني الإيمان والصلاح تُستحضر وتراجع في الليل، وفي كل ليلة. وفيه تنبيهٌ كذلك على أنّ المعاني التي ينبغي أن تُستحضر لمن أراد الصلاح والهداية هي

التي توجد في هذه النظائر، ولولا خشية الإطالة لذكرتُ المعاني الموجودة في هذه السور، ولكني أنبّه هاهنا على أهمية قراءة ودراسة تفسير هذه السور مع استحضار المعاني الإيمانية فيها ومحاسبة النفس على أساسها، وذلك كلّ ليلة. وكذا السور التي تُقرأ كل جمعة، فالله المسئول أن يعينني أنا وجميع المسلمين على ذلك العمل الهامّ.

ـ وأمّا السور النظائر التي ذكرها ابن مسعود، فهي أيضاً سور هامة ينبغي على المسلم مدارستها وتفهم معانيها مع محاسبة النفس عليها.

ـ وكذا السور التي كان يقرؤها في صلاته ﷺ بالناس، وأكثرها من حزب المفصَّل، فإنّها سور هامة وفيها معاني إيمانية كافية لإصلاح النفوس والقلوب، فعلى أئمة المحاريب أن يقتدوا بالرسول في ذلك. والمتأمّل في السور التي كان يقرؤها ﷺ يجد أنها تتكلم عن القيامة والجنة والنار وما يتعلّق بذلك؛ فقد سمعه **قطبة بن مالك يقرأ في الفجر «ق» في الركعة الأولى** (رواه

الترمذي وصححه الألباني)، **وكان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء ذان البروج والسماء والطارق وشبهها** (رواه الترمذي وقال الألباني: حسن صحيح)، **وصلى المغرب بالمرسلات** (صححه الألباني في صحيح الترمذي) **وصلى الفجر بإذا الشمس كورت** (رواه مسلم) **وصلى الظهر بسورتي الأعلى والغاشية** (رواه النسائي وصححه الألباني) **وصلى العشاء بإذا السماء انشقت** (رواه النسائي وصححه الألباني). وهذا هو أكثر هديه، **وربما قرأ في المغرب بطولى الطوليين «الأعراف»** (رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني)، **وصلى الصبح بسورة الروم** (رواه النسائي وحسنه الألباني). ولكن كان الغالب عليه قراءة حزب المفصَّل في جميع الصلوات حتى روى أبو داود: «**ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلّا وقد سمعت رسول الله يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة**» (ضعفه الألباني).

ـ وفي ذلك تنبيهٌ على أهمية ذكر القيامة وتذكرها وما فيها من أهوال وكذا ذكر الجنّة والنار وما فيهما؛ فإنّ

المداومة على ذلك تقوِّي في القلب الخوف والرجاء اللذين هما أساس فعل الصالحات وترك المنكرات.

ـ وكذا كان ﷺ يكثر من قراءة هود وأخواتها، ومع مزيد تأمّله وتدبره لهما شاب ﷺ، فقد قال له أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله! قد شِبت؟ قال: «**شيَّبتني هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون وإذا الشمس كورت**» (الصحيحة: ٩٥٥). فعلى المؤمن أن يكثر من قراءة هذه السور مع تدبرها وتلمس الهدى منها؛ فإنّ ذلك كافٍ لزجّ معاني الإيمان في القلب وهداية القلب ـ بإذن الله ـ إلى الخشية والخوف والرهبة لله عزّ وجل.

ـ وكذا كان ﷺ يحث على قراءة الانشقاق والتكوير والانفطار؛ ففي الحديث: «**من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنّه رأي العين، فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انشقت، وإذا السماء انفطرت**» (الصحيحة: ١٠٨١). وقال: «**من أخذ السبع الأول من القرءان؛ فهو حَبْرٌ**» (الصحيحة: ٢٣٠٥). وقال: «**اقرؤا الزهراوين:**

البقرة وسورة آل عمران» (الصحيحة: ٣٩٩٢). وبالجملة فكل السور التي حث الرسول ﷺ على قراءتها أو كان يقرؤها، فينبغي الاهتمام بقراءتها وتدبر معاني الإيمان فيها مع العمل بمقتضى ما فيها.

ـ وكان من هديه ﷺ كذلك تجميل الصوت بالقرءان؛ فقد قال: «**زينوا القرءان بأصواتكم؛ فإنّ الصوت الحسن يزيد القرءان حُسناً**» (الصحيحة: ٧٧١) فالصوت الحسن يزيد من حلاوة القرءان في القلب ويساعد أكثر على التدبر والتفهم لمعانيه، فينبغي تحسين المرء لصوته ما أمكنه.

ـ وكان من هديه ﷺ أنّه يستحب قيام ليل الشتاء، وقال: «**الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصام وطال ليله فقام**» (أورده الألباني في صحيح الجامع). وفي ذلك تنبيهٌ على عظيم أثر قراءة القرءان وتدبره في ليل الشتاء حيث شدة البرد وحلاوة النوم ومشقة القيام، فحينئذٍ يكافئ اللهُ القائمين بمزيد تأثر وخشوع وإخبات وإنابة.

ـ وقال ﷺ: «**من قرأ القرءان فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوامٌ يقرءون القرءان يسألون به الناس**» (رواه الترمذي وحسنه الألباني). وهو يدل على أنّ حفظ القرءان وقراءته من أكبر أسباب رزق الله لعبده بخيري الدنيا والآخرة، وأيُّ خيرٍ فوق بلوغ المنازل العالية في الإيمان في الدنيا ودخول الجنة في الآخرة!!! فالزموا القرءان واسألوا الله به صلاح القلوب والنفوس، وصلاح البلاد والعباد، ونشر الحق وقمع الباطل، والله المستعان.